واليوم أغلقت أبواب القصر ؛ فلا حاجب ولا قاصـــد ، واليوم تمر بقاعة (يورت) الأمريكي على قرب منـه فترى رتل السيارات يزحم الطريق ، جاءت بأصحابها يستمعون الى ما يلقى فى العلم والفن والأدب ، بينا القصر المظيم ، المقر السابق للسابقة بين المحسنين وأركان العلم يكاد يطمس سنا طلائه نسيج العناكب لا يرتفع فيه صوت بحديث ولا علم ولا فن

أليس «قصر الوالدة» أولىَ مكان بنور العلم والأدب والفن ؟ إنه أولاها ، وإنه أرحب الأمكنة للفضل منذ نشأته

فهل نرى فى ورثته من الأمراء فى القريب ما يعيده الى مكانته ويعيد اليه روح الأنس بخير ما خلق الله للانسان فيكون ذلك استمراراً لروحه ، وأنساً لروح سكنت الخلد — هى روح « الوالدة » . . . ؟

محمد محمود جهول
المحامى

« روز »

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كان الظلام قد خيم بعد غيوب الشمس ، وذهبت معارف الأرض ، وانتقل كل مجسّد الى عالم الأشباح الغامضة ، وتسربت الألوان المختلفة فى السواد الذى غمرها ، وتحول الجو من طلاقة الاعتدال وطيبه الى البرد ، كعادته في هذه المناطق الصحراوية ، فتحول أهل البيت الى الحجرات طلباً للدفء ، أو اتقاء لما يجر اليه التعرّض للقر ، وكان البواب النوبى يتمشى فى الحديقة بعد أن خلت من المتنزهين وفى يده مسبحته الطويلة التى لا تفارقه ، فهى على عنقه كالعقد إذا لم تكن حباتها بين أصابعه ، وكان قد وصل الى آخر الممر ، ودار ليعود ، فقال له حوضُ الآذريون — أو هكذا خيل اليه — :

« هشش ! »

فنظر مبهوتاً الى هـذا الزهر الأصفر ذى الحلل الأسود ، وتعجب من نطقه ، فلولا فرط الدهشة للاذ بالفرار ، فقد كان من المؤمنين بالعفاريت وركوبها الناس واتخاذها أشكالاً وصوراً شتى ، وتقمصها أجسام الحيوان ، ولم يكن بعيداً فى التصور عنده أن تطلع من أحواض الزهر

ومنعته الدهشة أن يجيب بشىء . وأى جواب لمثل هذا النداء سوى الالتفات الى مصدر الصوت ؟ ولا مصدر له يعلمه سوى هذا الحوض

وعاد الصوت الخفى يقول :

« هشش ! »

ولـكنه لم يصدر فى هذه المرة عن الحوض ، بل انتقل الى ما وراء الزرع المفرّش على السور الحديدى ، وكفى بهذا التحول سبباً للرعب ، فما يمكن أن يجىء الصوت من الأمام مرة ، ومن الخلف مرة إلا إذا كان صاحبه عفريتاً من الجن ، فانطلق البوّاب يعدو كالنعامة الى حيث يرجو أن يجد أنيساً يذهب عنه الخوف

وسخط العفريت لما رأى فريسته تفلت من يده ، وتخلّص من ألفاف الشجر المتشجّنة تخلصاً لا يعود بحسن السمعة وطيب الأحدوثة على الجن قومه ، ولا يشهد لهم بالبراعة والحذق ؛ فلما صار فى الممر أخذ ينفخ من الجهـد وينفض التراب عن ثيابه ، ويلعن البرابرة وجبنهم . ولما أوسعهم لعناً ، وشفى قلبه مما يجد عليهم تحول الى نفسه ، ولم يبخل عليها بحظ وافر من التعنيف والتقريع على ما كلفته سخافته من الزحف وراء الشجر الأشيب من تلويث الثياب والتعرض للحشرات ، وأحسّ — حين ذكر الحشرات — كأن بعضها — جيشاً كاملاً منها — يسير على ظهره تحت ثيابه

وفى هذه اللحظة ، وقبل أن يتم ما بدأه من إبداء الرأى فى نفسه ويصارحها به على أكمل وجه ، سمع من الشرفة صوتاً يناديه باسمه ، فكان من أثر المفاجأة أن رد : « نعم » بصوت عال ، ولم يكد ينطق بهذه الكلمة المفردة حتى أدركته الندامة وعاد سخطه فمظم على نفسه ، فلو استطاع أن يجرّدها أمامه شخصاً لقتله بلا تحرّج ، ولم يسعه بعد أن وشى بنفسه إلا أن يمشى الى حيث دُعى فأجاب ، وكان الله فى عونه حين يدعو الفضول الى السؤال !

* * *

وفى هذه اللحظة كانت « روز » ـ كلبة البيت ـ قد شبعت

من تفتيشه والاحاطة بمداخله ومخارجه ، واختبار الكراسي والبحث عما عسى أن يكون تحتها ، وما لعله مخبأ وراء الستائر ، وحدثتها نفسها بالخروج إلى الحديقة لعل فيها قطعة ، أو عظمة تتسلى بها ، فقد كانت « روز » طالبةَ لهو بريء ، وسيان عندها أن يكون اللهو به حيواناً مثلها أو جماداً ، ولكنّ الباب كان مغلقاً اتقاء لتيارات الهواء ، ولو لم يكن في وسع « روز » أن تفتحه بغير معونةٍ من الانسان ، فوقفت أمامه ـ أو لصقَه ـ وجعلت تحك أنفها فيه منتظرةً أن يدخل داخل أو يخرج خارج

وسرعان ما استجاب الله دعاءها وحقق رجاءها ، فقد دفع صاحبنا الباب ودخل وهو ينفخ ، ولم يكن يدري أن « روز » وراءه وأن أنفها أصابته منه ضربة قوية ، أدارت رأسها وآلمتها وأخرجتها عن طورها . وكانت « روز » كلبة رقيقة الاحساس لينة العريكة ، وقد ألفت أن يداعبها الناس ـ رجالاً ونساء وأطفالاً ـ واعتادت إذا مسها أذى غير مقصود ، أن يسرع المسيء إلى ملاطفتها والاعتذار اليها ، ولذلك أدهشها أن ترى صاحبنا يضربها بالباب ويكاد يبطط لها أنفها الجميل ، ويمضي كأنما لم يحدث شيء على الرغم من الصرخة العالية التي أطلقتها من الألم ، وهاجها هذا السلوك فانطلقت تجري حتى صارت أمامه ونبحته نبحتين كأنما تقول له :

« لحظة من فضلك ! لحظة واحدة ، إذا سمحت ! »

فقال صاحبنا بجفوة : « اذهبي عني ـ فلست أحب الكلاب ! »

فقالت « روز » :

« صحيح ؟ أهو ذاك ؟ ومن تظن نفسك أيها الحلوف القذر حتى تضرب فتاة مثلي على أنفها ؟ »

فشوّر صاحبنا بيديه مرة أخرى ليصرفها ، ولكنها ألحت عليه بالنباح قائلة :

« إن أمثالك في الدنيا هم الذين يحدثون الثورات والفتن والهزاهز . وما أظن بك إلا أنك من اللاّك الجشعين الذين يظلمون الفلاحين العاملين في أرضهم ، ويلقون بهم في أحضان المهيجين والبلاشفة . . . »

فضاق صدر صاحبنا ، ورفسها برجله . ولم يرفسها في الحقيقة وإنما حرك ساقه حركة الرفس ، فلم تصبها رجله ، فقد كان يريد المعنى لا الفعل ؛ ولكن « روز » كانت كلبة حرة تكفيها الاشارة ، فغضبت جداً لكرامتها ، ووثبت وثبةً مكنت أسنانها الحادة من طرف السترة فمزقتها فيها وجذبتها بكل ما فيها من قوة ، فانهارت الظهارة ، وتكشفت عن البطانة ، وكانت لا تزال فائرة النفس ، فهمّت بوثبة أخرى ، ولكن فتاة من أهل البيت دخلت في هذه اللحظة ، فصاحت بها :

« روز . . . روز . . ! »

فالتفتت « روز » على الصوت ، وأدركت بذكائها الكلبي أن لا رجاء لها بعد ذلك في مواصلة الكرّ والفرّ ، فدسّت ذيلها بين فخذيها واختفت

وقالت الفتاة لصاحبنا :

« آسفة جداً . . . »

فنظر صاحبنا اليها مقطبا ، ثم صوب عينه الى سترته ، وتناول الطرف المهلهل بيمينه ، فتلا دمه ، وشعر برغبة جامحة في أن ينقض تعداد القطر المصري واحدة ، غير أنه استطاع بجهد أن يكبح نفسه ، فما يليق أن يكون كالكلبة حماقة ، ولا سيما في حضرة سيدة وقال :

« لا بأس ! لا بأس ! أعني لا شيء . . . هي غلطتي ، وإن كنت لا أعرف كيف أسأت اليها . . . هل اسمها روز ؟ »

قالت الفتاة : « نعم . . . روز . . . اسم جميل ، أليس كذلك ؟ »

قال : « ولكن الفعل غير جميل . . . والبذلة جديدة قبحها الله . . . أعني الكلبة لا البذلة . . . معذرة ! . . على كل حال يجب أن أرحل الآن ، فما أستطيع البقاء بهذه الثياب الممزقة . . أستودعك الله ! . . »

وهكذا مزقت « روز » ثيابي . . . ومن أجل هذا صرتُ أكره الكلاب بأنواعها ، من مجازية وحقيقية ، ولا أطمئن اليها ، ولا آمن غدرها ، ، ولي الحق . أليس كذلك ؟

ابراهيم عبد القادر المازني